رمضان شهر الجهاد

فضيلة الشيخ

د. سليم بن عيد الهلالي

حفظه الله ورعاه

اعتنى بنشره

د. إياد العكيلي

غفر الله له وللمؤمنين والمؤمنات

حقوق النشر لكل مسلم (١٤٤٤ هـ)

بدون زيادة أو نقص

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فهذه خطبة جمعة بعنوان: (رمضان: شهر الجهاد) ألقاها فضيلة شيخنا الحبيب سليم الهلالي بمسجد العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعمّان بتاريخ (١٩/ رمضان/ ١٤٤٠هـ)، فاستأذنتُ منه –نفع الله به– أن أقوم بتفريغها، والتعديل عليها بما يلزم تعديله، والتعليق عليها بتعليقات يسيرة، ثم عرضها على فضيلته.

وكان أصل فكرة هذا المشروع أنْ استشرتُه بأن أفرِّغ خطبه، وما تيسَّر من محاضراته بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فما كان منه –حفظه الله ورعاه– إلا أن بادر –كعادته– بالموافقة والتأييد، وكانت هذه الخطبة مستهل هذه التفريغات.

فالله أسأل: أن ينفع بهذه الجهود الكريمة، والله الموفق والمستعان.

[بداية الخطبة]

إنَّ الحمد لله: نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإنَّ أحسن الكلام كلام الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله! نعيش في شهر مبارك: أيامه صوم، ولياليه قيام، وساعاته تسبيح، وقرآن، ومجاهدة، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر؛ فهو فرصة سانحة للتوبة من العصيان، والعودة الحميدة إلى الملك الديان، فالحذار الحذار من التعامي والتواني، والبدار البدار إلى التوبة قبل فوات الأوان.

يا ذا الذي ما كَفاهُ الذَّنْبُ في رَجَبٍ ... حَتَّى عَصى رَبَّهُ في شَهْرِ شَعْبانِ

لَقَدْ أظَلَّكَ شَهْرُ الصوْمِ بَعْدَهُما ... فَلا تُصيِّرْهُ أيْضًا شَهْرَ عِصيانِ

وَاتْلُ القُرَانَ وَسَبِّحْ فيهِ مُجْتَهِدًا ... فَإنَّهُ شَهْرُ تَسْبيحٍ وَقُرْآنِ

وَاحْمِلْ عَلى جَسَدٍ تَرْجو النَّجاةَ لَهُ ... فَسَوْفَ تُضْرَمُ أجْسامٌ بِنيرانِ

كَمْ كُنْتَ تَعْرِفُ ممَّنْ صامَ في سَلَفٍ ... مِنْ بَيْنِ أهلٍ وجيرانٍ وَإخوانِ

أفْناهُمُ المَوْتُ وَاسْتَبْقاكَ بَعْدَهُمُ ... حَيًّا فَما أقْرَبَ القاصي مِنَ الدَّاني

وَمُعْجَبٍ بثيابِ العيدِ يقْطَعُها ... فَأصْبَحَتْ في غدٍ أثْوابَ أكْفانِ

حَتَّى مَتى يَعْمُرُ الإنْسانُ مَسْكَنَهُ ... مَصيرُ مَسْكَنِهِ قَبْرٌ لإنْسانِ[1].

واعلموا عباد الله: أنَّ هناك أمراً يغفل عنه كثير من المسلمين؛ وهو: أنَّ شهر الصوم هو شهر الصبر والنصر، والتضحيات والجهاد، والفتوحات الرائعة التي سطَّرها أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون ومن تبعهم بإحسان:

فمن يتصفّح كتب السيرة، ويفلي أوراق التاريخ ويقلب دفاتر الأيام؛ تبرز أمامَه معارك الإسلام الفاصلة في رمضان:

ففي السنة الثانية من الهجرة كانت غزوة بدر الكبرى ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١].

وفي السنة الثامنة من الهجرة فُتحت مكة التي كانت يومئذ عاصمة الشرك وقلعة الأوثان.

وفي السنة الثالثة عشرة انتصر المثنى بن حارثة الشيباني على جيوش الفرس في معركة البويب.

وفي سنة إحدى وثلاثين فتح المسلمون بلاد النوبة جنوب مصر وشمال السودان.

وفي سنة ستمائة وثمان وخمسين انتصر المسلمون على التتر في معركة عين جالوت.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه.

---

(١) أبيات أوردها الحافظ ابن رجب في «لطائف المعارف» (ص ٣٥١)، وهي من البحر البسيط.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وآله وصحبه وسلم، وبعد:

فمن خلال ما سردت وذكرت، نقطف بعض الدروس والعبر:

أولها: أنَّ الاسلام هو دين الله ﷻ، الذي سيحفظه وينصره ويثبته، واعلموا عباد الله: أنَّ المستقبل لهذا الدين بإذن الله وحده[٢]؛ كما أخبر الله عز وجل في كتابه، وكما ذكر الرسول ﷺ في سنته، ففي حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال ﷺ: «**إنَّ الله زوى لي الأرض؛ فرأيتُ مشارقها ومغاربها، وإنَّ أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها**»[٣]، فلا خوف على الإسلام كدين ومنهج وعقيدة، ولكن الخوف على المسلمين إذا خذلوه واستبدلوه وجعلوه وراء ظهورهم؛ فإنَّ الله عندئذ يستبدلهم بقوم خير منهم.

الأمر الثاني: رمضان شهر الجهاد، والجهاد أعلاه: قتال العدو ودفع شرِّه عن الإسلام والمسلمين؛ لكن لا ينبغي قصر الجهاد على ذلك، بل هو أنواع ومراتب:

---

(٢) انظر كتاب شيخنا «المستقبل للإسلام بمنهج السلف الكرام».

(٣) صحيح مسلم (٢٨٨٩) من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقوله ﷺ: «**إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها**»، قال في معناه الإمام القرطبي «المُفهم» (٧/ ٢١٦): «جمعها لي حتى أبصرت ما تملكه أمتي من أقصى المشارق والمغارب منها، وظاهر هذا اللفظ يقتضي أن الله تعالى قوى إدراك بصره، ورفع عنه الموانع المعتادة، فأدرك البعيد من موضعه، كما أدرك بيت المقدس من مكة، وأخذ يُخبرهم عن آياته، وهو ينظر إليه، وكما قال ﷺ: «إني لأبصر قصر المدائن الأبيض»، ويحتمل أن يكون مثَّلها الله له فرآها، والأول أولى».

منها: جهاد النفس في طاعة الله، والبعد عن معصية الله ﷻ؛ فإنَّ أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك:

وَخَالِفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصِهِمَا ... وَإِنْ هُمَا مَحَّضَاكَ النُّصْحَ فَاتَّهِمِ.(٤)

ومنها: جهاد الشيطان الذي هو عدو للإنسان، وأمرنا الله أن نتخذه عدوًا، ولا سلطان للشيطان على الإنسان إلا بالتزيين والدعوة، ولكن الإنسان إذا اعتصم بحبل الله، والتجأ إلى منهج الله، فـ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

ومنها: جهاد المنافقين وأهل البدع والعصاة وأهل المنكر، فرسولنا ﷺ يقول لنا: «**من رأى منكم منكرًا فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»(٥).

ثم مسألة أخيرة أذكِّر بها الأمة الإسلامية على كافة مستوياتها:

إنَّ شعيرة الجهاد كثر الكذب عليها، وانحرف مسارها، ففي بعض البلدان امتدت أيدي العابثين إلى حذف آيات الجهاد والقتال من المناهج ومنابر التوجيه العام؛ إرضاءً لأعداء الله ﷻ.

---

(٤) من أبيات البردة للبوصيري المتوفى (سنة ٦٩٦هـ)، وهي قصيدة في جملتها مخالفات شرعية، وقوادح عقدية، وتناقضات منهجية، وقد نقضها علماء كثر وبينوا ذلك، ولكن لا تخلو من أبيات فيها حكمة وموعظة.

(٥) «صحيح مسلم» (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي بلدان أخرى تحوَّل الجهاد إلى فوضى تضرب بشرها بلاد المسلمين؛ وتدمر مقدَّراتهم.

وفي ساحات أخرى تحوَّل الجهاد إلى تكفير وتفجير وسفك دماء المسلمين، واستدعاء أعداء الله للهيمنة على العالم الإسلامي تحت شعار محاربة الإرهاب.

أخوة الاسلام: إنَّ العلة ليست في الجهاد وحقيقته العقدية ولوازمه المنهجية، وإنما فيمن فهمه فهمًا خاطئًا وانحرف بمساره.

وليست العلة فيمن أنزل فريضة الجهاد وفرضها، فما أحوج الأمة إلى دراسة فقه الجهاد وتدريسه للناشئة؛ حتى لا تُصاب الأمة في مقتلٍ على أيدي أبنائها(٦).

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وارفع بفضلك كلمتي الحق والدين، اللهم من أراد بالإسلام والمسلمين خيرًا؛ فوفقه إلى كل خير، ومن أراد بهم شرًا؛ فخذه أخذ عزيز مقتدر.

اللهم ملك البلاد أره الحق حقًّا وارزقه اتّباعه، وأره الباطل باطلًا وارزقه اجتنابه.

---

(٦) ينظر شرح شيخنا المكرم لكتاب الجهاد من رياض الصالحين للنووي في كتابه: «بهجة الناظرين» (٢/ ٤٠٧)، وشرحه -أيضًا- لكتاب الجهاد من عمدة الأحكام للمقدسي في كتابه: «زبدة الأفهام» (٢/ ١٥٧٧).

اللهم أيِّده ببطانة من أهل الخير وأهل العلم تعينه على كل خير، وجنِّبه بطانة السوء من المنتفعين والمنافقين واللصوص، إنَّك ولي ذلك والقادر عليه[٧]، وأقم الصلاة.

(٧) الدعاء لولاة الجور من المسلمين بالصلاح والهداية من أصول أهل السنة والجماعة؛ وانظر «شرح السنة» للبربهاري (١٥٩)، و«الشرح والإبانة على أصول أهل السنة والديانة» لابن بطة (٣٠٨) و«عقيدة السلف وأصحاب الحديث» (ص ٢٩٤) وغيرها.